البساطة والصدق في تسجيل الأدب ترفع مستوى الثقافة

النصوص الأدبية الإبداعية الرفيعة سيرة المجتمع القائمة على التوثيق والتشريح

رواد الرواية الواقعية والتاريخية سجلوا نصوصهم ولم يشوهوا المجتمع

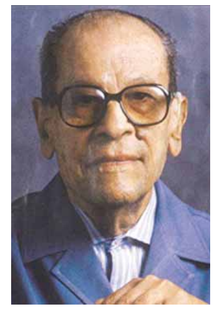
نجيب محفوظ

حنا مينة

إحسان عبد القدوس

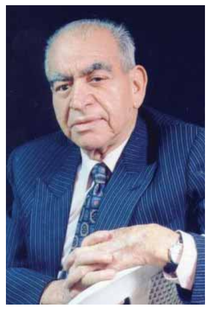
عبد السلام العجيلي

عبد الرحمن الشرقاوي

| إسماعيل مروة

استطاع الأدب ببساطته وصدقه وإبداعه أن يكون صورة للمجتمع من دون جنوح مطلق إلى المبالغة، ومن دون الحاجة إلى اختلاق ما يمكن أن يحدث ذات لحظة في الواقع أو في الخيال، فقد أخذ الأدب سيرورته الطبيعية، بين النقل الواقعي، وبعض الرسم الجمالي الإبداعي، وكان الإبداع يتمحور في الأشياء المحيطة، أي بالبيئة، وفي معالجة النفس الداخلية للأبطال، وهذا ما جعل روائع نجيب محفوظ باقية، ولا تدانيها كتابات، من قصر الشوق إلى السكرية وخان الخليلي وميرامار وسواها من الأعمال التي صبغت نجيب محفوظ بالبيئة، وجعلته أديباً عالمياً يستحق نوبل وزيادة لأنه لم يخرج من إطار التصوير الفني الواقعي، وهذا ما فعله إحسان عبد القدوس الذي كان مرفوضاً، ومن ثم أعيد اكتشافه، وفي كل يوم يعاد اكتشافه في أنا حرة وأنف وثلاث عيون وغيرهما من الأعمال التي وصفت بالجرأة، ولكنها عندما أعيد اكتشافها مرات تبين أنها واقعية، ولا تحاول أن تخرج عن المألوف.

والأدب السوري

وحنا مينه من الشراع والعاصفة إلى الياطر وبقايا صور وغيرها من روائعه التي رسمت خريطة للبيئة والبحر والناس والفقر والغنى والحيتان، فبقيت هذه الروايات ذات المرجعية الواقعية خالدة، ولم تقترب منها حتى روايات حنا الأخيرة التي كانت تزجية للوقت، وإشارة إلى الاستمرارية.

والعجيلي وشكيب الجابري وبديع حقي في رواياتهم كانوا ناقلين للواقع، فالشخصيات عند عبد السلام العجيلي كانت بنت البيئة، وناتجة عن التجربة وصولاً إلى أرض السياد، والجابري استلهمها من بيئته ودراسته الباريسية، وحقي أخذها وهو المحامي من أروقة المحاكم، وأضفى عليها وصفه وأدبها، فحوّلها إلى شخصيات من لحم ودم تعيش معنا في جفون تسحق الصور وهمسات العكازة المسكتية وسواهما، لم يكتب مذكرات محامي الدفاع، وإنما استلهمها ليرسمها وفق عالم يحلم به ويريده أن يكون.

وكذلك فعل أغلب الأدباء من الدكتور محمد حسين هيكل إلى توفيق الحكيم وصولاً إلى يوسف إدريس الذي رسم حالات من قاع المدن والمجتمع، لكنها كانت حالات خاصة ضمن حالات أخرى تخلق توازناً في المجتمع الذي يقوم على السلب والإيجاب في الوقت نفسه.. ولم يختلف العالم الروائي الفني بكل الصور التي تنقل المجتمع إلى الكتاب، وكذلك ما كان من كوليت خوري في أيام معه وليلة واحدة، وهاني الراهب حتى آخر نقطة من إبداعه في رست خطاً في الرمال وخضراء كالبحار، ولا يغيب عن الذاكرة ما قدمه فارس زرزور من روايات باقية ترسم تفاصيل المجتمع.

الأدب ورسالته

ولو عدنا لقراءة هذا الأدب فسنجد أنه كان ذا أدبية جمالية وإصلاحية في المجتمع، لنقل صورة سلبية أو صور سلبية، ضمن إطار مجتمعي يحتوي صوراً غير محدودة إيجابية أو محايدة أو مراقبة.. وحسيب كيالي سيد الأدب العربي الساخر، قدّم بصورة ساخرة سلبيات المجتمع التي لم تكن محصورة في الجوانب الأخلاقية، وإنما وقف عند سلبيات التربية والتعليم وما شابه ذلك، وحين انتقلت أعماله إلى الدراما كانت ذات أثر بالغ لا يمكن أن ينساه من رآه، وما تزال صورة حسيب كيالي كما جسدها عمر حجو دالة على دور الأدب في معالجة السلبيات التي تعصف بنا.

موضوعاته

بين المحتل والفقر والغنى والخواجات مرت بقايا صور لحنا مينه، ولم يتحامل على مجتمع ينتمي إليه، ولم يقم بتجميله بحجة الانتماء، فما من مجتمع لا يحوي كل التناقضات من إيجاب وسلب، وما من رغبة لدى المتابعين في إخفاء السلبيات، لأن مهمة الأدب الإشارة إليها لتجاوزها، وهذا هو الفرق بين الأدب والفانتازيا والكاوبوي، لأن العمل على أرضية موجودة تختلف تماماً عن العمل في بيئة افتراضية، مهما حاول المبدع أن يدّعي الإسقاط وما شابه ذلك.. حتى في الأدب العالمي، لمع أدب روائي عظيم، لكنه لم يستطع أن يسلب الأدب الواقعي مكانته، بل إنه يدور في فلكه، بؤساء هوغو، وعمال البحر له من أساطير العمل الأدبي التي يدور في فلكها الأدب المكتوب إلى اليوم، وكذلك قصة مدينتين وأوليفرتويست لديكنز، والحرب والسلام وآنا كاريننا لتولستوي، أما الإخوة كارا مازوف والأبله والمقامر لويستوفوسكي فحكاية أخرى، وتشيخوف وغوغول مدرستان لتصوير المجتمع والظلم وجي دي موباسان وغيرهم، لا يقصد من ذلك الحنين إلى الماضي، ولابد من التطور، واختلاف أساليب القص والرواية عبر الأزمان.. ولكن الحديث عن الجوهر هو الباقي الذي لا يمكن أن يغفل أثره.

خطورة غياب الأدب

حين تغيب دراسة المجتمع روائياً وأدبياً من أجل التشويق والفضح وتعميم السلبي فإن القادم أسوأ بكثير، والحديث هنا ليس وعظياً، فكل من ذكرتهم لم يستعمل الوعظ ولم يكن واعظاً، لكنهم كانوا ينتمون إلى المجتمع والإبداع في الوقت نفسه، فجاءت الصور التي تعد انتقاداً للمجتمع، ولكن هؤلاء الأدباء لم يتجاهلوا في الوقت نفسه وجود عالم متكامل..

في ثمانينيات القرن العشرين وتسعينياته عملت دوائر على أدب إباحي حوّل كل شيء إلى صورته، وانتشرت روايات إباحية جنسية، وقد وقفنا عندها يومها، وبعضها قام بتحويل (رجوع الشيخ إلى صباه) إلى عمل روائي، والغريب أن أكثر هذه الأعمال كانت صادرة عن كاتبات أديبات، لغايات محددة، وأغلب هذه الأسماء أدت دورها، ولم يعد لها من جود، وبعض هذه الروايات عملت على تفتيت المجتمع من الداخل، ومحاولة فضحه بما فيه وبما ليس فيه، وخاصة في المجتمعات التي يجهل القارئ عنها الكثير، وتلك الحملة رفعت أسماء، وصنعت جوائز، وصنعت تياراً جارفاً يسعى وراء الشهرة والجوائز، ويعمل على الوصول، فضاعت رواسم الأدب وحدوده!

الأدب والتاريخ

حتى في الجوانب التاريخية، لابد أن نتذكر أن الروايات التاريخية التي بدأت في أدبنا العربي ارتكزت على التاريخ، من معروف الأرنؤوط إلى كتاب سير العظماء في تاريخنا، ولو عدنا إلى هذه الكتب والروايات فإننا سنجدها ذات أرضية راسخة لم تلعب بها الأهواء والميول السياسية والطائفية والمذهبية، فتناولت التاريخ بوصفه التاريخ وليس بوصفه الإشكالي بما في ذلك الأعمال العظيمة لعبد الرحمن الشرقاوي، علي إمام المتقين، الحسين شهيداً وغير هذه الأعمال، فإنه تناول الموضوعات لإنصافها وليس بذرائعية الهجوم على الآخر، لأن الأدب الذي يصدره أديب متمكن غايته رصد ظاهرة، وليست غايته الانتصار لجانب على آخر، والسبب الأكثر أهمية يتمثل في أن الأدباء الحقيقيين يدركون خطورة التوثيق، فيقومون به في موضوعية، وهم عميقو الغور، لا يؤخذون بعبارة من هنا أو هناك، ولا يعتمدون التشويق والإثارة إلا من خلال الموقف كما فعل عبد الرحمن الشرقاوي في حديثه عن الكلمة على لسان الحسين، وهذا القول صاغه كما لو أنه كان بالحرف عن الحسين، تحدث عن الكلمة وأثرها وأبعاد تأثيرها معتمداً على المغزى البعيد الذي حوّل النص إلى حكمة دائمة، وليس إلى تشويق مؤقت يزول بزوال الحالة.

الأدب الباقي

زالت كل الحالات والمؤثرات، وبقي دستويفسكي وتولستوي وديكنز وهوغو، بقيت النصوص الأدبية شاهدة على ما يمكن أن يمثل الوثيقة الأرقى للحالة الاجتماعية، فكان المقامر حالة فردية، وكان الأبله حالة اجتماعية، وكان الإخوة كارامازوف للبحث عن الحب، وأنا كارنينا حالة الحب الملونة بالألم، وأوليفر تويست لطفولة الشقاء في مجتمع ما، ولكن في كل الحالات كان الأدب راقياً بحيث لم يعمم الحالات، وإن كانت من حالات موجودة مثل سي السيد، وبحارة حنا مينه، والذين وقع عليهم الظلم عند بديع حقي في قاعات المحكمة.

علينا أن نبحث عن نصوص الأدب، لأنها السيرة الحقيقية للمجتمع، قائمة على الفكر العميق، وعلى التقصي والتشريح، وشخصيات مبنية بإتقان وحب لها، حتى وإن كانت ظالمة أو خاطئة، لأنها نموذج وقع ضحية المحيط. فلنعد إلى النصوص الأدبية القديمة والحديثة لنقرأ أنفسنا وتاريخنا، ونترك الاعتماد على أنصاف قراء هبشوا كلمة من هنا وأخرى من هناك، وألا نعتمد على برنار لويس وما أدراك من هو في تسجيل تاريخنا ليزيد الأمور الخلافية.

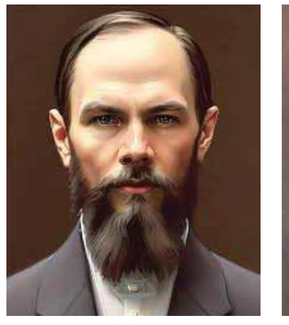
ديستوفيسكي

تشارلز ديكنز

بمشاركة سبعة فنانين افتتاح معرض «أكثر من ضو»

التعبير عن الهموم والهواجس بصوت عالٍ

| مايا سلامي - تصوير طارق السعدوني

افتتح غاليري «آرت هاوس» بدمشق المعرض الجماعي «أكثر من ضو» الذي تضمن لوحات وأعمالاً مختلفة لسبعة فنانين شباب جمعتهم ذكرياتهم وأحلامهم وهواجسهم والواقع القاسي الذي يعيشونه، فرسموها بصور وألوان مظلمة وداكنة دون أن تخلو من ضوء بسيط يدل على الأمل والنور الذي ما زال حاضراً في قلوبهم ويشجعهم على المضي في مستقبلهم المشرق بموهبتهم وإبداعهم المتجدد.

مشروع موحد

وفي تصريح لـ«الوطن» قالت المشرفة على مشروع «أكثر من ضو» الفنانة كلوديا الخن: «أحببت أن أعود إلى كلية الفنون الجميلة بعد ٢٠ سنة وأدخل إلى قاعاتها وأتعرف على شبابها الجدد الذين يمتلكون موهبة قوية لكنهم لا يجدون من يمد لهم يد المساعدة ليكملوا مسيرتهم، فقررت إقامة مشروع يحتضنهم بعد تخرجهم مباشرة وضمن حرم الكلية حيث حجزنا قاعة وجهزتها بطريقة جميلة ومريحة لأصفي أذهانهم بعد تعبهم من مشروع التخرج الصعب والقاسي».

وأضافت: «أردت أن نكون فريقاً واحداً لنخلق مشروعاً موحداً مع بعضنا، وعن الموضوعات فأنا طلبت منهم أن يعبروا عن الأشياء التي أثرت فيهم وهواجسهم وأحلامهم وأحببت أن يكونوا أحراراً بالتعبير لكن بمستويات أعلى من المعتاد، والمواضيع جاءت قاسية في معظمها لأنها تحدثت عن الخراب والدمار الذي وصلنا إليهما لكن المغزى الرئيسي كان أن نثير من جديد الأضواء التي انطفأت في بلدنا».

معرض مختلف

وبين الفنان التشكيلي غازي عانا أن «أكثر من ضوء» معرض مختلف بشكل إيجابي وهو لمجموعة فنانين وفنانات شباب يقولون بصوت عال أفكارهم وهواجسهم ويروون بكل صراحة الظروف الصعبة التي مروا فيها، لافتاً إلى أن التعبير بالتشكيل أصعب من الأدب ومن أي طريقة أخرى لأنه يحتاج إلى ثقافة بصرية من المتلقي وهذه للأسف صعبة قليلاً على المتلقي العادي.

وأشار إلى حضور عدد كبير من الفنانين ليكون هناك تفاعل أكبر مع المعرض، منوهاً بأن المعرض جميل ومتنوع جداً وفيه صياغات مختلفة فنشاهد فيه التجريد والواقعية والتعبيرية من خلال الرموز الحاضرة في معظم اللوحات.

وفي الختام توجه بالشكر لصاحبة المشروع الفنانة كلوديا الخن التي أشرفت على ورشة العمل وقدمت كل الدعم اللازم لهؤلاء الشباب الذين أعطوا نتائج مهمة تشكيلياً وتقنياً فكان هناك اجتهاد واضح بموضوع الخامات والأدوات التي اشتغلوا فيها.

إحساس الخسارة

وقالت الفنانة الشابة نور ديب: «مشروعي في هذا المعرض اسمه «الفقد أو الخسارة»، تحدثت فيه عن سنوات الحرب التي مررنا فيها وكم الأشياء والأشخاص الذين فقدناهم خلالها، فعبرت عن إحساس الخسارة الذي يجب ألا نعتاد إياه ورسمت الكثير من الأيادي للدلالة على طلب المساعدة».

وأضافت: «استخدمت تقنيات مختلفة في اللوحة ولم ألجأ إلى الأساليب المتعارف عليها، ففي البداية استخدمت عجينة السيراميك ووضعت فوقها ألواناً زيتية إضافة إلى الكولاج، كما اعتمدت التباين بين اللونين الأحمر والأسود لأجذب المشاهد ولأخلق عنده فضول لمعرفة ماذا تحمل اللوحة؟».

حق كل إنسان

وأوضح الفنان أوس الزعبي المشارك بلوحة وعمل أن فكرتهما مشتقة من المثل الشعبي «كل ديك على مزبلته صياح»، فنحن اليوم جميعنا ديوك لكننا سلبنا حق الصياح والتعبير عن آرائنا وجبرنا على أن نكون مكممين، وسلبت منا هذه الأشياء التي هي حق لكل إنسان ومخلوق على هذه الأرض.

وكشف أنه استخدم في اللوحة نشارة الخشب لإعطاء ملمس خشن قليلاً وفحم وباستيل، أما العمل فهو قماش مغرّى وأكياس بلاستيك.

الخلاص من الماضي

وبين الفنان عمار الفرح أنه قدم سبعة أعمال تحت عنوان: «قرابين خلاص»، منوهاً بأنها أعمال شخصية تلامس كل من يشاهدها والهدف الرئيس منها الخلاص من الماضي أو من أي شيء قاس دفناه في داخلنا، وأنه استعمل مواد وتقنيات مختلفة وركز على عنصر الشمعة للدلالة على النور وأنه مازال هناك أمل.

وأوضح أن السوداوية في هذه اللوحات نابعة من ماض قاتم عاشه في فترة من حياته وأراد التعبير عنه من خلال الفن من دون أن يركز على اللون الأسود فقط، لافتاً إلى أنه تحدث في أحد لوحاته عن عارض نفسي عبر عنه بطريقة مسرحية عن طريق رموز تحكي عن الاكتئاب ونوبات الهلع والأحلام التي يتركها المريض وراءه.

الرحيل والفراق

وقال الفنان آدم عجيب: «شاركت بلوحتين بقياس واحد، والدافع المفاهيمي للأعمال كان مرتبطاً بالشعور الدائم بالرحيل والفراق الذي نعيشه بالبلد، وعبرت عن ذلك بالأبنية والطيور كرمزية إلى المدن التي تخلو من سكانها شيئاً فشيئاً وتظلم أكثر، وكانت تقنياتي بسيطة كالألوان الزيتية والباستيل».

برجك اليوم 06/26

نجلاء قباني

الحمل

يبوح لك بعض الأصدقاء بحقائق تصدمك أو تربكك ولاتكاد تصدق أن من يرتكب هذه الأخطاء هم أصدقاؤك فعلاً وهذا قد يشعرك بالأسى وعدم الانسجام.

عاطفياً: انتبه إلى صحتك ولا تصدق كل ما يقال ولا تقدم وعوداً لا تستطيع الوفاء بها.

الثور

تتعرف إلى أصدقاء جدد وقد تستفيد الكثير من الأفكار الإيجابية أو تتلقى مساعدات تفتح أبواباً مغلقة وقد تتعرف إلى أصدقاء يلهبون مشاعرك أو يمنحونك السعادة والإحساس الجميل ويعززون ثقتك بنفسك. عاطفياً: أمورك العاطفية جيدة فالكواكب مساعدة وتمنحك الوقت والطاقة والدعم لتضع هيكلية جديدة لأهداف أنت تريد تحقيقها.

الجوزاء

حاول أن تكون حريصاً لأن اليوم قد يحمل لك انفعالاً أو غضباً فلا ترد بعفوية فقد تتهم بالتعالي والكبرياء وهذه اتهامات مجحفة بحقك لأنها غير حقيقية وربما تبدو عابساً.

عاطفياً: قد تسير إلى تسوية قضية أو مواجهة سببت لك الإزعاج والإحراج–اعتذارات.

السرطان

حاول أن تشرح وجهة نظرك بهدوء فأنت تحتاج لاحترام الآخرين وتحتاج اهتمامهم أكثر بمشاعرك ولكن امنح الأصدقاء التعاطف والاهتمام والمحبة وصدقني ستتلقاها بالتبادل. عاطفياً: شهر لتغيرات إلى الأفضل وغالباً سيحمل لك الاستقرار مع أنه قد يحمل السفر والأمور تأخذ طابع السعادة.

الأسد

أشخاص كثر إلى جانبك يقدرون مواهبك ويمنحونك المحبة والتواصل والتعاطف فأعط الفرصة لمن يحبك لإثبات محبته فقد لا تدرك أهمية إحساسك أنك مدعوم بمحبة الآخرين حتى تحتاجها. عاطفياً: أمورك العاطفية جيدة وغالباً أنت تفكر بشكل جدي بتغيير حياتك العائلية أو العاطفية وربما منطقة السكن.

العذراء

دع الوقت يعالج الأمور من دون تدخلك ولا تقدم على حلول مفاجئة تؤثر في عملك فهذه فترة ضاغطة قليلاً لأنك تبدو متوتراً وقد تتعرض لمشادة كلامية أو مواجهة. عاطفياً: أنت تكره الاستغلال لكنك اليوم تشعر بأنك مستغل ولكن قد يكون إحساسك وهماً.

الميزان

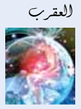

كثرة مسؤولياتك تجعلك عصبياً فلا تجعل ضيقك يؤثر في عملك ولا تفقد صبرك فأنت شجعت محيطك للجوء إليك وقت الضيق حتى صرت تخجل من اللجوء لهم حين تحتاجهم. عاطفياً: أمورك العاطفية جيدة لأنك تشق طريقك نحو حياة أسعد وأطول وأكثر ضجة، يضحكك وهذا الشهر سيحمل لك الأفراح.

العقرب

أمورك تميل إلى التركيز على الشؤون الاجتماعية وقد تدخل في جديد لقيادة محيطك أو القيام بدور فعال في عائلتك أو مع أصدقائك بالقدرة على الإقناع وبلاغتك في الحديث وفي الدفاع عن آرائك هي الأمر الأفضل في هذا اليوم وهذا هو مصدر قوتك. عاطفياً: أمورك العاطفية جيدة لأنها فترة للارتباط وللتعارف وخاصة في سفر فأنت تتعرف إلى أناس جدد وعلاقات تسعدك وقد تتصالح مع أشخاص أنت تحبهم.

القوس

انتبه أن وقوعك في الخطأ وارد فأنت لست كاملاً فلا تفسد علاقتك بمن حولك فأنت متشبث برأيك، فابتعد عن الشجارات وخاصة على الهاتف.

عاطفياً: قد تعاني اليوم من أخطاء سابقة فاعترف بأخطائك وحاول تصحيحها بسرعة واعتذر.

الجدي

تأتيك متغيرات إيجابية مع الشريك أو الأقرباء فحاول الاستفادة منها عاطفياً وتتطور حياتك الداخلية مع الأصدقاء وتحس بحبهم يغمرك واليوم للأسرة والعائلة.

عاطفياً: الشهر جيد جداً للعثور على شريك عاطفي أو لترتيب أمورك العائلية والزوجية باتجاه الأفضل.

الدلو

قد تعرف عملية بيع أو شراء أو تفكير بشؤون مالية أو بمصدر آخر للدخل فاليوم للمال وأنت مشغول بأوضاع مالية وربما تتضايق من مهلة تفرض عليك لتأجيل مال أو دفع.

عاطفياً: الظروف تسعدك للقاء شريك أحلامك أو لتطور علاقة متينة موجودة في حياتك باتجاه الإعلان أو الارتباط.

الحوت

لاحظ كم أن نظرات الإعجاب تحيط بك وأنت تستطيع كسب الإعجاب والتأييد وبأسرع وقت بطرفة عين فأنت مملوء بالطاقة والحماس تستيقظ مبكراً مشرقاً مقاوماً كل الصعوبات واثقاً من نفسك ومن قدرتك على الإنجاز.

عاطفياً: أنت في الفترة الأفضل للارتباط أو لتجد أن العقل والقلب يتفقان من أجل إحداث تغير أفضل لحياتك.